

الإستشراف التخيلي في الرواية الجزائرية "2084 حكاية العربي الأخير" لواسيني الأعرج أنموذجا
ريمة عميروش*

Title in English The Imaginative Foresight in the Algerian Novel "2084:
The Last Arab's Tale" by Wassini Al-Araj as a Model
Rima amirouche

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل ، البلاد الجزائر

E-mail: rima.amirouche@univ-jijel.dz

استلم: 25/01/2025 ، مقبول: 04/02/2025 ، نشر: 01/06/2025

الملخص: تناولت هذه الدراسة رواية "2084 حكاية العربي الأخير" لواسيني الأعرج بوصفها نموذجاً للرواية الاستشرافية التي تتجاوز التمثيل السطحي للواقع إلى استشراف مستقبل العالم العربي في ضوء المتغيرات الاجتماعية والسياسية. وتهدف الدراسة إلى تحليل الآليات السردية التي اعتمدها الكاتب، لا سيما التأثيث التصويري الذي يجمع بين التخيل والواقع، لرسم مشهد مستقبلي يُحاكي التحولات المحتملة. اتبعت الدراسة المنهج التحليلي الذي ركز على استنباط أبعاد الاستشراف الروائي وتجلياته في النص، حيث تم التطرق إلى دور الشخصيات والأحداث في استبصار المستقبل من خلال الحاضر. وتوصلت الدراسة إلى أن الرواية تعكس رؤية نقدية مستقبلية تستند إلى فهم عميق للماضي واستقراء الحاضر، محذرة من مصير سوداوي إذا استمر تجاهل القيم الإنسانية الأساسية. يبرز العمل أهمية الرواية الاستشرافية كأداة أدبية قادرة على الجمع بين التخيل والنقد، مما يجعلها وسيلة فاعلة لتحفيز التفكير حول القضايا المصيرية للمجتمعات العربية. الكلمات المفتاحية: الإستشراف- التخيل- الرواية الجزائرية- 2084 حكاية العربي الأخير- واسيني الأعرج.

ABSTRACT: This study examines the novel "The Tale of the Last Arab" by Wasini Al-A'raj as a model of the visionary novel, which goes beyond a superficial representation of reality to foresee the future of the Arab world in light of social and political changes. The study aims to analyze the narrative mechanisms adopted by the author, particularly the pictorial furnishing that combines imagination and reality, to depict a future scene that simulates potential transformations. The study followed an analytical approach that focused on deducing the dimensions of narrative foresight and its manifestations in the text, addressing the role of characters and events in foreseeing the future through the present. The study concluded that the novel reflects a critical vision of the future based on a deep understanding of the past and an extrapolation of the present, warning of a bleak fate if basic human values continue to be ignored. The work highlights the importance of the visionary novel as a literary tool capable of combining imagination and criticism, making it an effective means of stimulating reflection on the crucial issues facing Arab societies.

KEYWORDS: Speculation, Imagination, Algerian Novel, 2084: The Last Arab, Wassini Al-Araj

*المؤلف المراسل:ريمة عميروش

مقدمة:

الرواية هي واحدة من أبرز الفنون الأدبية الحديثة التي برزت بشكل لافت خلال العصر الحديث، حيث استطاعت أن تحظى بمكانة متميزة بين الأجناس الأدبية الأخرى، مثل القصة القصيرة والمسرح، بفضل قدرتها الفريدة على استيعاب هموم الإنسان الفردية والجماعية، والتعبير عن مختلف جوانب الحياة العامة والخاصة. لقد أصبحت الرواية أداة تعبير شاملة تتشابه مع التجارب الإنسانية بمختلف حالاتها وأبعادها، مما جعلها جنساً أدبياً يحظى بأهمية خاصة في المشهد الأدبي العالمي والعربي على حد سواء.

وعلى صعيد الرواية العربية، شهدت هذه الأخيرة تحولات نوعية عميقة في بنيتها وحركتها الثقافية، مواكبةً للتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عصفت بالمجتمعات العربية. وأمام هذه التحولات، استطاعت الرواية الجزائرية أن تثبت جدارتها وتحجز لنفسها موقعاً مرموقاً بين الروايات العربية، بفضل الجهود الإبداعية الكبيرة التي بذلها كتابها في تطويع هذا الفن الأدبي ليعبر عن البيئة الجزائرية بتفاصيلها الفريدة.

لقد واجهت الرواية الجزائرية العديد من التحديات منذ نشأتها، خاصة في ظل الصراعات التي رافقت التحولات الثقافية والاجتماعية خلال فترة الاستعمار وما بعدها. ومع ذلك، تمكنت من تجاوز هذه العقبات لتدخل بقوة إلى عالم الحداثة الأدبية. ومن خلال تطور أساليبها السردية، أصبحت الرواية الجزائرية مرآة تعكس تطلعات المجتمع وتوثق تجاربه، مستخدمة عناصر مثل التاريخ والتخيل بأسلوب فني مبتكر.

يعد توظيف التاريخ في الرواية الجزائرية أحد أبرز السمات التي ميزتها، حيث استطاع الروائيون الجزائريون الاستفادة من الذاكرة الجماعية والتجارب التاريخية لتقديم سرديات تُبرز الأبعاد السياسية والاجتماعية للنضال الوطني. كما استخدموا التخيل كأداة لتجاوز التوثيق المباشر، مما أضفى على النصوص الروائية أبعاداً رمزية واستبطانية تُحاكي الواقع وتعيد تشكيله في آنٍ واحد.

إن ما يميز الرواية الجزائرية أيضاً هو قدرتها على تجاوز القوالب التقليدية للكتابة، وتبني خطاب يتفاعل مع قضايا المجتمع المعاصر بجرأة وعمق. فقد تناولت الروايات الجزائرية

موضوعات متنوعة، مثل الهوية، والحرية، والصراع الثقافي، والاغتراب، وقضايا المرأة، مستخدمة أساليب فنية تعكس تنوع الرؤية الإبداعية لكتابتها.

ولا يمكن تجاهل الدور الذي لعبه المبدعون الجزائريون في تطوير الرواية كفن أدبي. لقد حملوا على عاتقهم مسؤولية النهوض بهذا الشكل التعبيري، فقدموا أعمالاً تمزج بين الحقيقة والخيال بطريقة مبتكرة، تُظهر براعتهم في خلق عوالم سردية تفتح آفاقاً جديدة أمام القارئ. إنهم، من خلال أعمالهم، قدموا نصوصاً أدبية تحمل بعداً إنسانياً عميقاً، وتسعى إلى معالجة التحديات الثقافية والاجتماعية بروح فنية واعية ومسؤولة.

بهذا، يمكن القول إن الرواية الجزائرية ليست مجرد انعكاس لبيئتها، بل هي جزء لا يتجزأ من حركتها الثقافية، وقوة دافعة تسهم في صياغة وعي جديد، يُعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والعالم من حوله.

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية السردية الحاملة لمتغيرات الواقع وتمثيلاً حياً له « فالسرد يمدنا أساساً بالوسائل التي تساعد على تشخيص مجموعة من الحقائق في صور حياتية هي الرابط بين واقع نحياه في غفلة عن قوانينه، وبين عوالم ممكنة تصفي التجربة و تدفعها إلى مصاف الخيال » (الخديري، 2022)

ليبرز وظيفة السرد الروائي كأداة تحول التجربة المعيشة إلى صور إبداعية تجمع بين الواقعي والمتخيل، مما يفتح آفاقاً جديدة أمام الفهم والتفسير، ويساهم في خلق عوالم سردية تُعيد تشكيل الواقع وتمنح القارئ فرصة للتفكير والتأمل في إمكانيات غير محدودة، كون الرواية هي ترجمة ونقل لمكونات الواقع بتفاصيله و تجلياته وفق أسس فنية جمالية تتحقق في اندماجها مع كل ماهو واقعي ممتزجا بالتخيل الذي يشغل كعامل جذب وتجذير للعلاقة القائمة بين الأعمال السردية والمجتمع لدى لايقف مفهوم ارتباط الرواية بالواقع عند حدود ما تختزله الحياة اليومية و الوعي ، وإنما بالنسبة للروائي فهي ذلك الغمار المتخفي اللامرئي الذي يصعب للإنسان التقاطه ووصفه وحتى العبور عنه ، مما يستلزم ما يخرج و يكشف عن ذلك الغموض ويربط الأجزاء المتناثرة المتناقضة في المجتمع بشكل دقيق وغامض (روبيل، 2023) وهو ما تلمسناه في الرواية التي اخترناها التي اختارت مستويات تساعدنا للتعبير عن مرادها

بتقنية الإستشراق التخييلي في قالب فني متميز، وبذلك نطرح الإشكاليات التالية : إلى أي مدى يمكن اعتبار الرواية الاستشراقية وسيلة فعّالة للتعبير عن التحولات المستقبلية للعالم العربي، في ظل الأزمات السياسية والاجتماعية الراهنة؟ وكيف يمكن لهذا النوع الأدبي أن يجمع بين النقد الواقعي والتحليل الاستشراقي لرسم صورة دقيقة عن المستقبل؟

وهل تسهم الرواية الاستشراقية في تعزيز الوعي الجمعي وإلهام التغيير، أم أنها تكتفي برسم مشهد سوداوي يزيد من مشاعر الإحباط واليأس؟ ، وكيف يمكن أن توظف العناصر السردية مثل الشخصيات والأحداث والتخييل لإيصال رسالة أدبية وفكرية تعكس طبيعة هذه التحولات؟

وأخيراً، ما هي حدود قدرة الرواية الاستشراقية على التأثير في صنع القرار السياسي والاجتماعي، مقارنة بأشكال أخرى من التحليل والبحث المستقبلي؟

1-تحديد المفاهيم

1-1-الإستشراق:

1-1-1 لغة:

ينصرف مفهوم الإستشراق إلى «العلو والإرتفاع والمجد والحسب فيقال استشرفت الشيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه وبسطت كفك فوق حاجبيك كالذي يستضل الشمس» (بوقصة، 2013، صفحة 81)

ينطلق مفهوم الاستشراق من دلالاته اللغوية التي تشير إلى العلو والارتفاع والرغبة في الوصول إلى أفق أوسع، يُستخدم هذا المصطلح للتعبير عن عملية التطلع إلى المستقبل أو محاولة إدراك الشيء بتمعن وتركيز، كما يعكس فعل "استشرفت الشيء" وضعية التحفز والانتباه، حيث يقوم الفرد برفع بصره وبسط كفه فوق حاجبيه لحجب أشعة الشمس، في إشارة رمزية إلى الجهد المبذول للوصول إلى رؤية أوضح، وهكذا يجسد الاستشراق حالة من الترقب والتأمل التي تهدف إلى اكتساب فهم أعمق أو استشراق آفاق جديدة، سواء في التفكير أو التخطيط.

في معجم مقاييس اللغة لابن فارس نجد مادة [شرف] «الشين والراء والفاء أصل يدل على العلو والإرتفاع» (ابن فارس، 1989)، ووردت في لسان العرب لابن منظور (شرف) «شرف يشرف شرفاً وشُرفاً وشرفه وشرفه وشرافة فهو شريف» (الفضل، 1994) لتتخذ اللفظة هنا معنى الحسب، وفي الأحاديث النبوية اتخذت لفظة استشراف مواضع عدة منها «ففي الحديث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستشرف العين والأذنين ولا نضحى بعوراء، ومن معانها التطلع والتمكن والحرص، وفي حديث آخر يقول ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي ومن تشرفت لها تستشرفه» (ابن ابراهيم، 2017)

1-1-2 اصطلاحاً

عرف الإستشراف بالتنبؤ بالمستقبل منذ زمن بعيد، عائد إلى عهد أفلاطون و جمهوريته «كان المفكرون والفلاسفة والعلماء منذ أزمان قديمة يحاولون التنبؤ بالمستقبل ويقومون بالأحرى بوضع تصوراتهم لما يجب أن يكون عليه المستقبل الفاضل بدأ بجمهورية أفلاطون مروراً بآراء أهل المدينة الفاضلة للفراي» (سينيسيا) كما يعرف الإستشراف أو استشراف المستقبل بعده تعريفات منها «مجموعة الدراسات والبحوث التي تكشف عن مشكلات محتملة في المستقبل وتنبؤ بالأولويات التي يمكن أن تحددها بوصفها حلولاً لمواجهة هذه المشكلات...، اجتهاد علمي منظم يهدف إلى صياغة مجموعة من التوقعات المشروطة والسيناريوهات التي تشمل المعالم الرئيسية لمجتمع ما» (محمد بن عبد الرحمن)، ليتخذ الإستشراف في هذا الموضع شكلين من التوقعات في الإجهادات العلمية التي يحرص على تنظيمها مختلف الأطراف، والتنبؤ بما سيحدث في المستقبل عبارة عن التطلع إلى المستقبل من خلال دراسة الماضي وفهم الحاضر وسنن الفاعلة فيهما، وهو اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة التي تشمل المعالم الأساسية لأوضاع مجتمع ما أو مجموعة مجتمعات عبر مدة زمنية محددة» (بوقصة، 2013)،

وفي تعريف آخر لعواطف عبد الرحمن تقول «إن الإستشراف هو اجتهاد منظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التوقعات المشروطة التي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما أو

مجموعة من المجتمعات في فترة زمنية مقبلة» (عواطف، 1998) فهو عبارة عن «التطلع إلى المستقبل من خلال دراسة الماضي وفهم الحاضر والسنن الفاعلة فيهما أو هو اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة التي تشمل المعالم الأساسية لأوضاع مجتمع ما أو مجموعة مجتمعات عبر مدة زمنية محددة» (بوقصة، 2013) ، وبذلك الاستشراف هو عملية اجتهادية منظمة تهدف إلى التطلع نحو المستقبل عبر صياغة مجموعة من التوقعات المشروطة التي تستند إلى تحليل المعطيات الراهنة وفهم الماضي والحاضر. يُعبر هذا المفهوم عن العلو والتركيز على إدراك المستقبل من خلال دراسة السنن والقوانين المؤثرة في المجتمعات. وكما يشير التعريف اللغوي، فإن الاستشراف يتضمن حالة من الترقب والوعي تتطلب الجهد والنظر البعيد، وهو ما يتجسد عملياً كاجتهاد علمي يسعى لرسم المعالم الرئيسية للأوضاع المستقبلية لمجتمع أو مجموعة مجتمعات خلال فترة زمنية محددة.

2-التخيل:

1-1 لغة:

ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (خيل) الخاء والياء واللام أصل واحد يدل على حركة في تلوين، فمن ذلك الخيال وهو الشخص هو أصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنه يتشبه ويتلون» (ابن فارس، 1989) ، اتخذ التخيل في هذا الموضع صفة التشبه والتغير، وفي لسان العرب لابن منظور « خيل خال الشيء يا خال خيلا وخیلة وخیلة وخالاً وخیلاً وخیلانا ومخاله ومخیلة وخیلوله: ظنه وفي المثل من يسمع يخلُ أي يظن... وخیل عليه شبه وأخال الشيء اشتبه...، فلان يمضي على المخيل أي على ما خيلت أي ما شابهت يعني على غرر من غير يقين قد يأتي خِلْتُ بمعنى علمت» (الفضل، 1994) لتأتي لفظة التخيل في هذا الموضع بمعنى الخيال ، والتشبه، والعلم أعلى مراتب المعرفة

ورد في لسان العرب «خال الشيء خيلا وخیلة وخیلانا، ومخیلة وخیلوله ظنه ، والخیال والخیالة هي ما تشابه لك في اليقظة والحلم من صورة وجمعه أخيلة و الخيال أيضا : كساء أسود ينصب على خشبة أو عود يخیل به للبهائم والطير فتظنه إنسانا» (الفضل، 1994)، فقد اتخذت لفظة التخيل عدة معاني تختلف بحسب الإستعمال حسب معجم لسان العرب،

وورد التخيل في القرآن الكريم في قوله عز وجل « قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى » (القرآن الكريم) وجاءت لفظة خيل في هذا الموضع بمعنى الوهم أو الشبه.

2-2 اصطلاحاً:

جاء مصطلح "المتخيل" في وقت متأخر مقارنة بمصطلح "الخيال"، وقد حظي باهتمام كبير من قبل المفكرين، حيث شكّل محوراً لدراسات مكثفة في كل من الفكر الغربي والعربي. ويصف جيلبير دوران المتخيل بأنه يتميز بطبيعة معقدة وبخاصية حركية نشطة، مما يجعله مجالاً متعدد الأبعاد والدلالات، «يشير المتخيل إلى مجموع المعطيات التمثيلية والرموز الإيحائية والترسيمات المتعاقبة في مكوناتها وبنائها ودلالاتها، ويشمل مختلف المظاهر الفكرية والعلاقات الثقافية في حياة الإنسان، ومن ثم يعتبر تراثاً حضارياً، ورصيداً تعبيرياً مشتركاً بين الإنسانية جمعاء منذ أقدم العصور إلى الآن» (الادريسي، 2005)

تعددت مفاهيم التخيل ومن وجد منها تعريف آمنة بلعلي الذي اعتبرته عملية إيهام موجبة تهدف إلى إثارة المتلقي، وإثارة مقصوده سلفاً والعملية تبدأ بالصورة المخيلة التي تنطوي على القصصية، والتي تنطوي في ذاتها على معطيات بينها وبين الإشارة الموجزة علاقة الإثارة الموحية، وتحدث العملية فعلها عندما تستدعي خبرات المتلقي المخزنة والمتجانسة مع معطيات الصورة المخيلة فتحدث الإثارة المقصودة ويلج المتلقي إلى عالم الإيهام المرجو فيستجيب لغايه مقصوده سلفاً، وذلك أمر طبيعي ما دام التخيل ينتج في عادات تفضي إلى أذهان النفس فتبسط لأمر من الأمور أو تنقبض عنه « (بلعلي، 2006) ليتخذ التخيل دور المثير والمزلزل لأفكار المتلقي أثناء تواجد صورة المخيلة التي تتجاوب مع الخبرات المكثفة للمتلقي

وفي موضع آخر « التخيل هو تحريف القول الصادق عن العادة ، وإحاقه بشيء تستأنس النفس به » (موافي، 2005) بمعنى تغير القول عن موضعه الأصلي بما تطمئن وتتماشى معه النفس لتخلق راحة في ذاتها .

أما محمد نور الدين أفاية يرى أن المتخيل «يتجاوز الموجود ويتخطاه ولكنه يتمثل في كل لحظة المعنى الضمني للواقع (...)، والمتخيل بالرغم من تعاليه على الواقع إلا أنه يظل حاضراً في

الحياة ولحظات التواصل اليومي» (أفاية، 1993)، ليكون التخيل عنده على عملية الهدم والتفكيك ثم إعادة بنائه انطلاقاً من الواقع، لأنه يعتبر مادته الخام التي ينطلق منها، وهناك من يرى أنه ينطلق من داخل النفس وجوانبها فيقول "محمد رصيص" «إن المتخيل له قدرة هائلة على استدعاء المكبوت والمعتل وتعرية رصانة الواقع المزعومة» (رمصيص، 2012) وبهذا فالمتخيل له إمكانية الولوج إلى النفس والغوص في خباياها واستنطاق مكنونها في الذات، تحدث جابر عصفور عن المتخيل واعتبره الإيهام الموجب في النص الأدبي هو وسيلة فنية تهدف إلى إثارة المتلقي وتحفيز مخيلته لفهم النص بطريقة غير مباشرة. تعتمد هذه العملية على الصورة المخيلة التي تحمل في طياتها قصيدة معينة، حيث تكون مشحونة بإشارات موجزة تثير ذهن القارئ. من خلال هذه الصورة، تُستدعى خبرات المتلقي المختزنة والمتجانسة مع معطيات النص، مما يؤدي إلى استجابة فكرية أو عاطفية. الإيهام هنا ليس غموضاً معيقاً، بل أداة تدفع المتلقي للدخول في عالم النص وفك رموزه، وفق غاية محددة وضعها الكاتب مسبقاً. ويحدث ذلك عبر التخيل الذي يثير انفعالات خاصة بالنفس، فتتفاعل مع النص إما بالانفتاح عليه أو النفور منه، مما يجعل من الإيهام وسيلة لخلق تجربة جمالية ومعرفية متكاملة (بلعلي، 2006)، ليأخذ المتخيل عنده شكل المثير لانفعالات المتلقي التي قد تكون مقصودة من قبل الأديب لتوصيل أفكاره

3- الاستشراف التخيلي في الرواية

لقد أصبح التفكير المبكر بما سيأتي وبما سيحدث مستقبلاً هو الدائرة التي اتفق عليها السرد، بسبب الوتيرة المتسارعة الغير ساكنة التي يتميز بها المجتمع ككل، من تغيرات سواء اجتماعية أو تكنولوجية (الهنداوي وآخرون، 2017) وكذا المشهد الروائي بانفتاحه وتحدد مشاربه وتباينها، ومنه فالإستشراف مهارة وعملية تنطوي على استقراء التوجهات العامة في الحياة البشرية التي تؤثر بطريقة أو بأخرى في مسارات الأفراد والمجتمعات، ولا يهدف الإستشراف إلى التكهّن بتفاصيل أحداث المستقبل للأفراد أو المجتمعات أو الإنسانية جمعاء، وإنما يهدف إلى رسم نهج استباقي واعتماد سيناريوهات يمكن تحويلها إلى واقع ملموس يرتقي بالعمل « (الهنداوي وآخرون، 2017). فإذا كان للتخيل والمتخيل دور في ممارسة الأعمال

الإبداعية الروائية، فللواقع دور أهم فالأديب يتأثر بالواقع ويؤثر فيه خالقا علاقه ترابطية استرجاعية بينه وبين التخيل، فالأديب في تسطيره للواقع باستعانة الخيال ليس للهروب من الحقيقة وإنما رغبة منه في إدراك تلك الحقيقة وإيصالها في صور مختلفة نوعا ما للقارئ فالخيال إذا أداة من أجل مزيد من الإضاءة للواقع» (جعفر، 1999) فهو انطلاقة من مرجعية واقعية وهو ما يسقط على الأعمال الروائية التي تنبأت بمآلات الإنسان بوجوده في تلك النصوص الثقافية، التي استظهرت جوانب عدة من جماليات المحيط الثقافي والفكري، يستطيع فيها القارئ معايشة تضخم الحياة خلال فترة زمنية قصيرة وفق تلك الرؤية الحياتية التواصلية على الدلالات الثقافية المضمرة والظاهرة، بالإستعانة بالتخيل.

في الرواية، يعمل الاستشراف التخيلي على الجمع بين الخيال والواقع بأسلوب يستلهم الماضي ويفهم الحاضر ليتنبأ بمستقبل معين. يتجلى هذا النوع من الاستشراف في أعمال أدبية تتناول موضوعات مثل التحولات الاجتماعية، والسياسية، والبيئية، والتقدم التكنولوجي، حيث تبتكر الرواية عوالم خيالية تحاكي تطورات مستقبلية أو تقدم تحذيرات تجاه مخاطر محتملة.

يكمن الهدف الأساسي من الاستشراف التخيلي في إثارة تساؤلات عميقة حول مصير الإنسانية، وتشجيع القارئ على التفكير في التحديات القادمة، وهو ما يجعل الرواية وسيلة فنية وثقافية لاستشراف مستقبل مجتمعاتنا، بعيداً عن القيود الزمنية أو المكانية.

إن تاريخ الإبداع الأدبي هو تاريخ الإستشراف والتنبؤ بمآلات الإنسان ووجوده خارج الظرف الذي كتب فيه النص الأدبي، لأنه نص مطلق يقوم على الإحتمال ويجسد نظرة الإنسان للوجود وطريقة تمثله للقيم المثلى والنماذج العليا التي تظل دوما مصدر إلهام بالنسبة للأدباء...، وتكشف عن أحلام وآمال تعكس توق الإنسان إلى اشتراط حياة أفضل تظل دوما متخيلا لذلك، فاستشراف المستقبل في الأدب عنصر تكويني جوهري فيه، فهو الذي يضمن له البقاء أو الخلود ويجعله يقاوم التقليد حتى وإن انطلق صاحبه من نصوص سابقة « (بلعلي، 2006) وبهذا فالأعمال الروائية أفضل الأجناس الإبداعية التي اتخذت بين طياتها مهمة استشراف المستقبل استنادا على الخيال والحدس في تحليل الواقع.

4- مقارنة تطبيقية في رواية 2084 حكاية العربي الأخير

1-4 الشخصيات المستشفرة

تُبنى الروايات الإستشرافية التخيلية على تركيز كبير على الشخصيات التي تلعب دوراً محورياً في عملية الاستشراق والتخيل ضمن المتن السردى. تُكلف هذه الشخصيات بمهمة استقراء المستقبل من خلال استحضار أنماط تاريخية، سياسية، واجتماعية مختلفة، ما يجعلها الأساس الذي يُبنى عليه العمل الروائى ويضفي عليه طابعاً عميقاً ومثيراً للتأمل.

تقوم الروايات الإستشرافية التخيلية على الإهتمام البالغ بالشخصيات في متنها السردى، مكلفة إياها بعملية الإستشراق والتخيل بعدة أنماط تاريخية سياسية اجتماعية مختلفة جعل منها مرسى العمل الروائى، و من بين الشخصيات التي قامت بمهمة الإستشراق في الرواية نذكر

1-4-1- آدم :

شخصية مستشفرة للأحداث القادمة الموالية في الرواية الذي يمثل تاريخ أحداث سير الرواية التي كانت خارج الزمن الحالى ، مستشفرة الزمن المجهول اللاحق ، 2084 وبذلك يُجسد الروائى عبر شخصية آدم نموذج الشخصية المستشفرة التي تنظر إلى الزمن المجهول القادم بوعي وتأمل عميقين، يمثل آدم صوت الحاضر الذي يمتد بتخيل الروائى ليحمل رؤى وإدراكات تتجاوز حدود زمانه ومكانه، يقول «أرى يوم الجمعة ينزل بنعومة ويحل محله بشكل نصفى يوم السبت ، ثم أرى رقم 31 ينسحب بهدوء من شهر ديسمبر ويحل محلها 1 يناير، ثم سنة 2083 التي لمعت قليلاً محتضرة للحظات قبل أن يرى رقم 3 ينزل من عدد 2083 وينزلق للمرة الأخيرة، رسماً مكانه العدد 4 ليكمل العدد الجديد من السنة الجديدة 2084» (الأعرج، 2016)، في هذا المقطع الذي يتحدث على لسان الشخصية المستشفرة آدم، نجد توظيفاً تخيلياً قوياً لرؤية الزمن ككيان متحرك يتبدل تدريجياً. آدم، كشخصية متصلة بالمستقبل، يقدم وصفاً دقيقاً وملموساً للانتقال من عام إلى آخر، مستخدماً رمزية الأرقام والأيام للتعبير عن حتمية التغيرات الزمنية واستمرارية الحياة، مع التأكيد على الشعور العابر للحظات الزمنية.

حين يقول "أرى يوم الجمعة ينزل بنعومة ويحل محله بشكل نصف يوم السبت"....، يُبرز الطريقة التي تتداخل فيها الأزمنة بشكل انسيابي، وكأنها رقصة بين الماضي والمستقبل. انتقال الأرقام في تاريخ السنة يعكس أيضاً رمزاً لتحولات أعمق ليست محصورة بالأيام أو السنوات، بل تمتد لتشمل التحولات المجتمعية، الثقافية، وربما حتى الكونية التي قد تطرأ بحلول عام 2084. هذا المقطع يعبر عن فلسفة عميقة تربط بين التغيرات الظاهرة في الزمن والواقع الخفي الذي يرافقها. شخصية آدم، كمرآة استشرافية، تنقل عبر هذا المشهد مشاعر التأمل، الحذر، وربما التساؤل عن المستقبل القادم، مما يجعلها وسيلة فنية تجسد منظور الرواية تجاه الزمن المجهول.

4-1-2-إيفا :

في هذه الرواية الاستشرافية التي تتناول الزمن المستقبلي لعام 2084، تجسد شخصية إيفا نموذجاً مميزاً للشخصية الاستشرافية. بوصفها مسؤولة عن وكالة "ليدرافيك"، التي تخيلها الروائي كمنظمة تُعنى بالدفاع عن حقوق الإنسان وراحة البشرية، تظهر إيفا كامرأة تجمع بين الحس الإنساني العميق والالتزام بمبادئ العدل والدفاع عن الآخرين. تمثل إيفا صورة للمرأة التي تتحمل مسؤولية كبرى، لا تُعنى فقط بالحاضر بل تحمل رؤية مستقبلية تسعى من خلالها إلى تحقيق توازن بين التكنولوجيا المتقدمة والقيم الإنسانية.

علاقة إيفا بآدم، التي تتجلى في كلماتها تقول «أنا أحبك لو اخترت بين أن أبقى أو أذهب، كنت تركت كل شيء وبقيت معك في هذا الفقر، شرط أن أسمعها من أعماق قلبك» (الأعرج، 2016) تضفي بُعداً عاطفياً صادقاً على الرواية من خلال هذا الحوار، يبرز الروائي قوة المشاعر الإنسانية التي تبقى ثابتة عبر الزمن، متحدى كل التحولات التكنولوجية والاجتماعية، ليبين الروائي أن الحب والمشاعر الإنسانية الصادقة ثابتة الأصل لا يقف في وجهها عائق مهما مر الزمن وتغير، وأن الحب هنا يمثل عنصراً ثابتاً في مقابل عالم متغير، مما يعكس فكرة أن القيم الإنسانية العميقة كالحب والتضحية تبقى صامدة مهما تغيرت الظروف والأزمنة.

4-1-3-العالم غاليليو:

استشراف غاليليو أحداث العالم في الفترة الزمنية المقبلة، وكيف للعالم أن يعيش في ظل وجود الأسلحة النووية التي لن تغير شيئاً من الطبيعة المعيشة، وسينتشر الدمار والقتل والدماء وستحكم الدول المالكة لهذه الأسلحة النووية التي سيتدمر نتيجتها الشعب الأعزل المستضعف في الرواية، تأتي شخصية *غاليليو* كنموذج استشرافي عميق يتأمل في مصير العالم في ظل امتلاك البشرية للأسلحة النووية. من خلال رؤيته للمستقبل، يتنبأ غاليليو بأن هذه الأسلحة ستغير قواعد القوة والصراع على الساحة الدولية، لكنها لن تغير الطبيعة البشرية ولا تضع حداً للصراعات. بل على العكس، يرى أن التغيير الذي ستحدثه سيكون شكلياً، محصوراً في الأدوار التي تؤديها الدول والأنظمة، بينما سيظل الدمار والقتل والدماء والخراب واقعاً دائماً يعاني منه البشر، وخاصة الشعوب المستضعفة، كلماته «ماذا لو سبقت ألمانيا واليابان في صنع القنبلة الذرية إذا العالم لن يتغير العالم سيكون على ما هو عليه اليوم، فقط بتغير طفيف في الأدوار سيكون هناك موتى وجرحى وناجون من الحرب» (الأعرج، 2016)، تجسد فلسفة قاتمة ولكنها واقعية حول ثبات جوهر النزاعات البشرية. يرى غاليليو أن الأسلحة النووية ليست سوى أداة جديدة تُضاف إلى سجل أدوات الحرب، وأن الهيمنة والقمع ستظل تتحكم في مصير الشعوب.

هذا الإستشراف لا يقتصر على تحليل الحاضر بل يتجاوز ذلك ليرسم صورة للمستقبل، صورة تبرز هشاشة القيم الإنسانية في مواجهة القوة المدمرة للتكنولوجيا. الرواية بذلك تطرح سؤالاً جوهرياً: هل يمكن للإنسانية أن تتغير جوهرياً في ظل هذه التطورات، أم أن التقدم التكنولوجي سيظل وسيلة لتعزيز الصراعات بدلاً من إنهاؤها؟

4-2 الإستشراف للأحداث:

في رواية "2084 حكاية العربي الأخير"، يستند واسيني الأعرج إلى رؤية استشرافية سوداوية تصور دمار العالم العربي وزواله، مبرزاً ما ستؤول إليه الأوضاع في المستقبل بعد التحولات العميقة التي عرفت المنطقة نتيجة ما يُسمى بالربيع العربي. العنوان نفسه يحمل بعداً

استشرافياً قوياً، حيث يشير إلى عام 2084 كسنة رمزية تمثل نهاية مأساوية للعالم العربي، حيث الموت والتشرد والفوضى يعمّان الأرجاء.

من خلال هذا التصور، يعكس الأعرج نقداً حاداً للواقع السياسي والاجتماعي الذي نتج عن الثورات العربية، حيث كان الهدف المعلن إسقاط الحكام وإقامة نظم ديمقراطية مستقرة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. إلا أن الرواية تُبرز كيف تحولت هذه الثورات إلى كابوس أدى إلى هلاك الشعوب وتفكك الدول،

يبدأ الإستشراف بالأحداث في الرواية بداية من العنوان 2084 حكاية العربي الأخير، والذي يتبين من الوهلة الأولى صفة الإستشرافية فيه بأحداث تقوم مجرياتها سنة 2084 م، بزوال ودمار العالم العربي خاصة منه، وما ستؤول إليه المصائر في نهاية مأساوية بداية من سنة الموت 2084 ، التي تمثل المستقبل السوداوي للعرب، توظيف الروائي لهذه السنة كاستشراف عن مآلت إليه بعد ما يسمى بالربيع العربي في مختلف البقاع العربية، حقيقة من أجل إسقاط حكامها وخلق وضع مستقر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ونفسياً ، ليتخذ الوضع أمراً عكسياً سبب في هلاك الشعوب وتشتتها في مختلف البقاع، كما يُعبّر عنه بهذا التصريح « نعم الديكتاتوريات نفذت ما كان عليها تنفيذه ، ويوم صدقت أن لها دولة و في أول هزة أعيدت إلى بداياتها الأولى، نحن في عالم شديد الغرابة عندما قام العرب بثورتهم كبقية الشعوب قتلوا أنفسهم أولاً ثم أكلوا رؤوس بلدانهم وبعدها خلقوا فراغاً ظنوا هو الديمقراطية، ويوم استيقظوا وجدوا أنفسهم مجموعات يقتلها العطش والصحاري والثعابين، كالعمران الذي يشيد على الرمال وفي ثانية واحدة انهار كل شيء» (الأعرج، 2016) الرواية بذلك تُقدم استشرافاً قائماً على تحليل واقعي للأحداث السياسية والاجتماعية، لكنها تسلط الضوء على الجانب المظلم لهذه التحولات، محذرة من المصير الذي قد ينتظر العالم العربي إذا لم تتم معالجة الأسباب الجذرية للأزمات. يُبرز الأعرج بمهارة كيف أن الأحلام بالديمقراطية والحرية قد تتحول إلى سراب إذا لم تُبنى على أسس متينة وقيم حقيقية، مما يجعل الرواية صرخة تحذير واستشرافاً لواقع مريع قد لا يكون بعيداً عن التحقق.

ليسطر في الرواية واسيني الأعرج الدمار الذي آلت إليه وستؤول إليه الأوطان العربية في نظرة استشرافية، منه انطلق فيها من النتائج السلبية والخطيرة التي أنتجها الربيع العربي...، هذا التصوير يُظهر كيف أن الفراغ السياسي الذي خلفته الثورات فتح الباب أمام الفوضى، ليعيد العرب إلى حالة من التشتت والضياع، حيث أصبحت المجتمعات منهارة وتعاني من العطش والجوع، في صورة مأساوية تبرز هشاشة البنى السياسية والاجتماعية في المنطقة وفي موضع آخر يتجسد التشتت والضياع الإنساني والتشرد الذي تجسد في الوطن العربي، يعمق واسيني الأعرج تصويره لمأساة التشتت والضياع الإنساني في العالم العربي، حيث يُبرز السارد على لسان إحدى الشخصيات معاناة العربي الذي بات بلا هوية أو انتماء عبر السارد على لسان أحد شخصياته «لم ينتمي الذي أصبح بلا هوية؟، أنا اليوم لا هوية لي وأنا في أعرف أنني عربي بلا أرض محددة، ينتظر أن يوضع مثل الهنود الحمر في محتشد عام مساحته فيه محسوبة» (الأعرج، 2016)، ترسم صورة قاتمة لشخصية عربية فقدت كل ما يمكن أن يمثل الهوية: الوطن، الأرض، والانتماء.

يشير هذا الوصف إلى واقع مستقبلي محتمل يُسقط فيه العالم العربي في هاوية التهميش والاضطهاد، حيث يتحول العربي إلى كيان بلا جذور، مجرداً من حقه في امتلاك الأرض والانتماء إلى وطنه. الإسقاط على مأساة الهنود الحمر يُبرز الشبه بين الإبادة الثقافية والجغرافية التي تعرضوا لها وبين ما قد يواجهه العرب في المستقبل إذا استمرت الأوضاع الراهنة في التدهور. في هذا السياق، يُسلط الروائي الضوء على العجز والهشاشة التي أصبحت السمة المميزة لحال العرب، حيث تُختزل الإنسانية إلى مجرد أرقام محسوبة في مخيمات أو محتشدات، بعيداً عن أي شعور بالكرامة أو الحرية. هذا المشهد يفتح باب التساؤل حول مصير الهوية العربية في ظل التفكك والصراعات الداخلية والخارجية، وما إذا كان بالإمكان استعادة الأرض والإنسانية قبل أن يُطوى العرب في صفحات النسيان مثلما حدث لأقوام أخرى.

من خلال هذه الشخصية، يستحضر واسيني الأعرج استشرافاً مريئاً لما قد يحدث إذا استمر غياب الحلول الجذرية للأزمات التي تعصف بالعالم العربي، مما يجعل الرواية صوتاً تحذيرياً يحمل دعوة لإعادة التفكير في المصير الجماعي للأمة.

خاتمة: في الختام نستنتج مايلي:

-انطلاق الرؤية الاستشرافية الروائية في رواية 2084 حكاية العربي الأخير ، من التخيل التاريخي كسند له حتى لا تكون رؤيته مبنية من فراغ، الرواية الاستشرافية تقدم رؤية فنية عميقة تتجاوز حدود الحاضر لتستشرف المستقبل، مما يجعلها وسيلة لفهم التحولات الكبرى وتحذير المجتمعات من المخاطر المحتملة.

-استطاعت الرواية ان تشكل فسيفساء قائمة على التاريخ وعلى الحقيقة العلمية، في سردها الأحداث وتقديسها للقارئ في شكل رسائل، يطل بها على مجريات الأحداث في جزء ما من العالم

-استشرافية الروائي بالوضع الذي سيؤول إليه المجتمع العربي في ظل الحالة الاجتماعية والسياسية والإقتصادية الراهنة، التي يعيشها في الوقت الراهن ومدى سوءها -وفق الروائي وفي اختياره لتاريخ وأحداث وأمكنة روايته، التي استطاعت أن تلامس القارئ وتدخله في عملياته السردية، وإشراكه فيها وبأنه هو المقصود من الرواية وأن هذه الأخيرة استشراف لمستقبله وتنبؤ به، فالنص الروائي يضع العرب أمام مرآة استشرافية تعكس مصيراً سوداويًا إذا استمر تجاهل القيم الأساسية كالعدل والحرية، مع التركيز على أثر الفوضى الناتجة عن الفراغ السياسي.

- الرواية تدعو إلى إعادة التفكير في أهمية الهوية والانتماء كدعائم لاستقرار المجتمعات العربية، محذرة من فقدانها الذي قد يؤدي إلى تهديم كامل للشعوب.

-تشضي الزمن في الرواية بين الماضي والمستقبل، وضع المتلقي في الزمن المعيشي للأحداث وخلق حالة جذب وتمسك به، وإشراك له في المتن السردية

المراجع

1. ابن فارس. (1989). مقاييس اللغة. دار الفكر.
2. احمد ذوقان الهنداوي وآخرون. (2017). استشراف المستقبل وصناعاته ماقبل التخطيط الاستراتيجي استعداد ذكي. الامارات: دار قينديل.
3. القران الكريم. (بلا تاريخ). صورة طه. 65.

4. امنة بلعلي. (2006). *المتخيل في الرواية الجزائرية من التماثل الى المختلف*. دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع.
5. بن عبد الرحمن المدني محمد. (بلا تاريخ). *مفهوم الاستشراف (علم المستقبل)*. تاريخ الاسترداد 11/1/2025، من مدونة محمد بن عبد الرحمن www.allaiwalmadani.wordpress.com
6. جمال الدين محمد بن حكوم الافريقي المصري ابو الفضل. (1994). *لسان العرب*. بيروت لبنان: دار صادر.
7. رشيد الخديري. (4/11/2022). *الرواية والواقع.. إشكال العلاقة*. تاريخ الاسترداد 01/01/2025، من موقع ضفة
ثالثة منبر ثقافي عربي:
<https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/opinions/2022/11/4/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88>
8. سينيسيا. (بلا تاريخ). *الاستشراف والابتكار الاستشراف والاستراتيجية*. مصر: منتدى مكتبة الاسكندرية. تم الاسترداد من منتدى مكتبة الاسكندرية.
9. صالح بن ابراهيم. (2017). *استشراف مستقبل الامة السياسي ومعالم تحقيقه*. مجلة الدراسات العربية، 36(2)، 679-726.
10. عبد الغفور روبيل. (2/3/2023). *جدلية الرواية والواقع*. تاريخ الاسترداد 11/1/2025، من موقع المجلة الثقافية الجزائرية: <https://thakafamag.com>
11. عبد الله بوقصة. (2013). *استشراف المستقبل في رواية اعترافات اسكرام لعز الدين مهبوبي*. مجلة اشكالات، 81.
12. عبد الرحمن عواطف. (1998). *الدراسات المستقبلية الاشكالات والافاق*. مجلة عالم الفكر، 14.
13. عثمان موافي. (2005). *في نظرية الادب في قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم*. القاهرة مصر: دار المعرفة الجامعية.
14. محمد راضي جعفر. (1999). *الاغتراب في الشعر العربي المعاصر*. منشورات اتحاد الكتاب العرب.
15. محمد رمصي. (2012). *المتخيل العجائي والغربة قراءة في التجربة القصصية لاحمد بوزفور*. مجلة الكلمة.
16. محمد نورالدين افاية. (1993). *المتخيل والتواصل*. بيروت لبنان: دار المنتخب العربي.
17. واسيني الأعرج. (2016). *2084 حكاية العربي الأخير*. دار الاداب.
18. يوسف الادريسي. (2005). *الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين*. حلب سوريا: دار الملتقى.